مالي سوى الله

قلتها ساعة رحيل والدي رحمه الله رحمة واسعة ليلة ٢٠٠٣/١٢/٢٩

أفردتني يا أبي للهمِّ والحزنِ ... من بعدِ أن كنتَ بالتحنانِ تغمرني
أفردتني وفؤادي يا أبي تعبٌ ... في كلِّ آنٍ بما تخشاه يُنذرني
أوهى عزيمةَ قلبي ذلُّ أمتنا ... واهاً له كم غدا يشكو من الوَهَنِ!
هلاّ تذكّرتَ أمّي كيف قبلُ مضتْ ... وجوعُ ثغري يُرجّي قطرةَ اللبنِ
وخلّفتني لأحيا اليُتمَ في زمنٍ ... وا ألفَ أواهُ ما أقساه من زمنِ!
قد كنتَ لي بعدها أمّاً، وكنتَ أباً ... وكنتَ باللّطف تنهاني، وتأمرني
وكنت تحسب أني يوسفٌ، وأنا ... وا بُعدَ نفسيَ عمّا كنتَ تحسبني!
كم كنتَ تحسب صوتي حين تسمعه ... بعضَ الشفاء وبالدعوات تُمطرني!
جداً أنا يا أبي أصبحتُ من زمنٍ ... ولم أزلْ طفلَكَ الغالي تدلّلني
شُغِلتُ عنكَ بعيشٍ كم نسيتُ به ... نفسي، وكم كنتَ تدعو لي، وتعذرني!
أسعى مُجِداً بدنيا كلُّها رهقٌ ... لسبعةٍ بهمُ الرحمن أكرمني
عانيتَ قبليَ أضعافاً مضاعفةً ... من الشقاءِ ولم تضعُفْ، ولم تَهنِ
ولم تضِقْ يا أبي ذرعاً إذا بَعُدَتْ ... بنا الليالي، وعنك السعيُ أبعدني
فكيف كيف أبي للهمِّ تتركني ... بلا وداعٍ، وتمضي.. كيف تتركني؟
عجلتَ لمّا دعاك اللهُ منطلقاً ... فاهنأْ بدعوة ربٍّ واسعِ المِنَنِ
كنتَ الشفيقَ ويعفو الله عن رجل ... كان الشفيق فسَلهُ أن يصبرني
ستون عاماً مضتْ قد كنت لي وطناً ... آوي إليه إذا ما ضاق بي وطني
واليوم أنت.. وآهٍ كيف أذكرها ... وذكرُها بلظى الآهاتِ يُغرقني!
ما لي سوى الله أرجو منه مغفرةً ... عسى بك الله في الفردوس يجمعني
هو الرحيمُ ولي من عفوه ثقةٌ ... حاشاه ربّاً رحيماً أن يُخيِّبني!
فمن سواه يُحيل السيئاتِ غداً ... لعبده حسناتٍ فهو عنه غني؟
لها أرجّيه فهو المرتجى، وأنا ... مَنْ حسنُ ظني به ما عشتُ يملؤني
بفقد أمّي، وفقدي فيكَ ملتجأً ... أرجوه بينكما في الخلد يحشرني